ضابط على كرسي متحرك



رواية

رائد رمضان دويك

"حين تنكسر الحياة فجأة،

يخرج من الشقوق ضوءٌ لم نكن نراه"

كانت القاهرة في ذلك الصباح مزدحمة كعادتها,

تتداخل فيها أصوات أبواق السيارات مع صياح الباعة الجائلين مع صوت أنفاس الناس الراكضين في الشوارع.

غبار يطفو في الهواء كستار خفيف يخفي الملامح.

جلس العقيد محمود العشماوي خلف مقود سيارته الرسمية، عيناه مثقلتان بليلٍ لم يزره النوم فيه سوى ساعات معدودة.

كانت المهمة التي خرج لأجلها تحتل تفكيره,

متابعة ملف شبكة اتجار بالمخدرات،

لكن في داخله كان شعور غريب بالثقل... ثقل لا يأتي من الأوراق ولا من القضايا، بل من داخله، من تراكمات السنين.

لم يكن يخطر بباله أن ذلك الصباح، الذي يشبه آلاف الصباحات التي سبقته، سيحمل له نهاية أو ربما بداية جديدة لا يعرف ملامحها بعد.

اقترب من الميدان الكبير لحظة ازدحم المشـــهد بالســـيارات من كل اتجاه.

أمسك بهاتفه الرسمي، يتحدث إلى مساعده بنبرة حادة:

" انتوا ليه متأخرين عن موقع المداهمة؟

قلت ألف مرة... الوقت أهم حاجه في شغلنا"

لكن صوته اختنق فجأة في الهواء، كأن شيئًا داخليًا يوشك أن ينكسر.

لحظة واحدة فقط،

لمح شاحنة ضخمة تنحرف من شارع جانبي بسرعة جنونية،

تصدر عنها صافرة فرامل متأخرة تجاهد لكبح جماح سيارة ضخمة الحجم

تندفع كثورٍ هائج في ساحة مصارعة ثيران اسبانية.

توقف الزمن.

رأى وجوه المارة تتحوّل إلى صور باهتة.

رأى حياته كلها تتداعى في ومضات خاطفة,

أول أيامه في كلية الشرطة،

وجه أبيه الصارم،

نظرة زوجته وهي تزَفُّ إلية ليلة عرسهما ،

ثم... اصطدام.

صرير حديد يتمزق.

ارتطام عنيف جعل رأسه يرتد إلى الخلف في عنف.

صوت زجاج يتناثر كبلورات مضيئة.

ثم صمت.

صمت كثيف، كأن الدنيا كلها قد انطفأت فجأة.

فتح عينيه... فلم ير شيئًا.

شعر أنه يسقط في بئر بلا قاع، حيث لا زمن ولا مكان.

مجرد فراغ عميق يبتلعه ببطء.

وفي ذلك الفراغ، تردّد صدى داخلي:

"أكنت تظن أن السلطة تحفظك من السقوط؟"

لم يكن يعرف إن كان حيًا أم ميتاً.

كل ما حوله بدا خليطاً من أصوات بعيدة...

أصوات لا تستقر,

صفير أجهزة طبية.

خطوات مسرعة على أرضية باردة.

صوت امرأة تنتحب بصوت خافت حزين.

همهمات أشخاص لهم أصوات جادة خالية من المشاعر.

بين كل تلك الضوضاء،

كان يشعر كأن جسده جثة ثقيلة...

لا يملك القوة لتحريك إصبع من اصابعه.

في أعماقه، انفتح باب غريب.

باب لم يعرفه من قبل.

دخل منه إلى ممر طويل، جدرانه من ضوء باهت، وسقفه يمتد بلا نهاية.

في نهاية الممر جلس رجل يرتدي بزته العســكرية القديمة، تمامًا كما كان في أوائل شبابه.

اقترب منه ببطء وحذر...

حتى أدرك أن ذلك الرجل لم يكن إلا هو نفسه.

وقف الشاب بثبات عسكري، عينيه تلمعان بالحماسة والبراءة.

قال بصوت ثابت:

"ماذا فعلت بي؟

كنتُ أحمل الحلم كله,

فحولت أنت الحلم إلى سلطة، والسلطة إلى قيد"

ارتبك محمود .

أراد أن يصرخ، أن يدافع عن نفسه،

لكن صوته لم يخرج.

كل ما شعر به هو صدى داخلي:

" ليست السلطة درعًا... إنها مرآة تكشف هشاشتنا"

وفجأة...

ظهرت وجوه أخرى على جانبي الممر.

وجوه المجرمين الذين استجوبهم، صرخاتهم، ضحكاتهم، اعترافاتهم،

كلها امتزجت في فوضى.

كانوا ينادونه:

أيها العادل... أيها القاسي... أيها العاجز...

أراد أن يغلق عينيه فلم تطاوعه جفونه.

اتسع المشهد.

صار الممر ساحة مزدحمة بالمقاعد،

وفي المنتصف طاولة كبيرة جلس حولها رؤساؤه وزملاؤه وأصدقاؤه وأناس

لم يتعرف إليهم او ربما فقط لم ينتبه لهم يوم لقيهم،

كلهم ينظر إليه.

كان وحيدًا في الوسط،

لا يستطيع أن يتحرك،

كأنه متهم أمام محكمة.

وبينما تتكاثر الوجوه،

يتردّد سؤال واحد يطغى على كل شيء,

"مَن تكون... إن لم تكن ضابطًا؟"

"من لم يواجه وحشه الداخلي، سيظل دائماً يراه في وجوه الآخرين"

كانت رائحة المطهرات تملأ المكان،

تمتزج بصفير الأجهزة المراقِبة لنَبضه،

كأنها موسيقى آلية تحرسه من الموت.

الغرفة واسعة لكنها باردة، بيضاء أكثر مما ينبغي.

تجلس بجواره زوجته منى،

تجاهد لتبدو متماسكة،

تمسك بيده التي لم تعد تتحرك.

عيناها حمراوان من البكاء،

لكنها لم تبكِ أمامه، تهمس في أذنه كأنه يسمعها:

"أنا هنا يا محمود... لن أتركك.

اعلم أنك ستعود من أجلي، حتى لو لم يصدقني أحد"

فُتِحَ الباب ودخل بعض زملائه في الوزارة، وجوه متوترة لكنها رسمية.

اقترب منه أحدهم، وضـــع باقة ورود على الطاولة بجانبه، ثم ابتســـم ابتسامة باردة وقال لزوجته:

" البقاء لله يا مدام، قصــــدي... ربنا يقومه بالســـلامة إن شـــاء الله"

كان صوته مليئًا بالرسمية، كأنه يؤدي واجبًا ثقيلًا لا زيارة لمريض.

زميل آخر أسرع في تذكير الحاضرين:

"العقيد محمود كان ماسك ملفات حساسة جدًا،

يا ريت نرتب نقلها لحد تاني من الزملاء،

البلد مش هاتستنى"

نظرت منى إليهم بمرارة.

كيف تحوّل زوجها في عيونهم من قائدٍ قوي إلى ملف إداري يجب أن يُنقل لشخص آخر؟

لم يطيلوا البقاء .

غادروا بسرعة،

تاركين وراءهم صمتاً أثقل من وجودهم.

دخلت بعدها أخته الصغيرة نادية،

بعينين دامعتين جلست عند قدميه، تُقبّلها وتبكي:

"كنتَ دائمًا سندنا يا محمود... من يسندنا الآن؟"

تعددت الوجوه الزائرة وتعددت تعابيرها ومشاعرها,

وجوه تأتي ووجوه تغادر.

لكن بين هذه الوجوه، بقيت منى.

لم تبرح مكانها، لم تترك يده.

كانت تتحدث إليه كما لو أنه يسمعها:

"إن لم تقم من أجل نفسك ... فقم من أجلي, من أجل ابننا .

لا تجعل هذه هي النهاية "

وفي مكان ما،

خلف الأجساد والدموع والآلات،

كان عقل محمود يسبح بعيدًا في غيبوبته،

يتلقى كل هذه الأصوات كأصداء مشوشة،

تتداخل مع أحلامه.

كل همسة تتحول إلى صورة، وكل صورة تصبح جزءًا من حلمه الطويل.

كان الصمت يطبق على المكان،

لكنه لم يكن صمتًا مطمئنًا؛

كان صمتًا مليئًا بالعيون الخفية.

وجد نفسه في قاعة شاسعة، سقفها بلا نهاية، وجدرانها من ظلال

تتحرك ببطء.

في منتصف القاعة، جلس على كرسي خشبي ثقيل، مُقيّد اليدين.

أمامه طاولة طويلة اصطفّت حولها وجوه مألوفة:

زملاؤه في الوزارة، رؤساؤه، وبعض مرؤوسيه الذين طالما خضعوا لأوامره.

لكن وجوههم لم تكن كما عرفها.

كانت بلا ملامح محددة...

مجرد أقنعة تتبدل, مرة بابتسامة باردة، مرة عبوس صارم، مرة بلا ملامح على الإطلاق.

سمع صوتاً عميقاً يصدح من العدم:

"عقيد محمود العشماوي...

لقد حان وقت الحساب.

لست هنا بسلطتك ولا ببدلتك العسكرية.

هنا تواجه حقيقتك فقط"

حاول أن ينهض، أن يصرخ:

"أي حساب؟ أنا لم أرتكب جريمة"

لكن صوته خرج ضعيفاً، كأنه لم يكن يملك حنجرته.

تقدّم أحد الجالسين، كان يشبه زميله القديم الذي ترك باقة الورود على طاولة المستشفى.

قال بصوت معدني:

" أنت بالنسبة لنا مجرد ملف.

حين كنت قويًا فتحنا لك الأبواب، وحين ضعفت أغلقناها خلفك"

ارتجف محمود.

بدت الكلمات كطعنة، لكنها لم تأتِ من الخارج فقط، بل من داخله أيضًــا، كأنه يرددها مع الرجل بنفسه.

فجأة... انشق الظلام في ركن القاعة.

دخل شعاع نور دافئ،

خافت لكنه واضح،

مثل خيط ذهبي يربط السماء بالأرض.

تشــكل النور الذهبي ليأخذ صــورة زوجته منى، ككيان مضــيء، ملامحها هادئة، عيناها ممتلئتان بالرجاء.

اقتربت منه ببطء، لم تكلمه، فقط وضـــعت يدها على كتفه وبمجرد أن لمسته، تلاشت القيود.

لكن القاعة لم تختفِ.

ظلّت الوجوه التي تحدّق،

بعضها ضحك، وبعضها صرخ،

وبعضها بدأ يتفتت كغبار أسود يتلاشى في الهواء.

ثم سمع صوتها في داخله، كأنها تهمس في قلبه مباشرة:

" لا تخف, أنا هنا، ...

قوتك لم تكن يومًا في سلطتك، بل في قلبك"

وبينما تحيطه الظلال وتنهشه الأسئلة،

كانت تلك اللمسة الصغيرة هي الشيء الوحيد الذي منعه من الانهيار.

لم تكن الأيام داخل المستشفى مثل كل الأيام،

بل كانت كحبات رمل تتساقط من غربال دقيق، تكشف شيئًا فشيئًا وجوه الناس على حقيقتها.

في الأيام الأولى، غصّت الغرفة بوجوهٍ مألوفة،

زملاء يُلقون عبارات مقتضبة،

أقارب يهمسون بدعاء سريع،

أصدقاء قدامى يتركون ابتسامة شاحبة،

زملاء، أقارب بعيدون، رجال سلطة جاءوا ببزاتهم الرسمية.

كانوا يلقون التحية كما لو يودّعون، ويتركون وراءهم فراغًا أوسع من حضورهم.

يمتلأ المكان بالضجيج، كأن وجود العقيد محمود على سرير أبيض كان مناسبة اجتماعية أكثر منه مأساة إنسانية.

مع مرور الأيام،

تضاءلت الخطوات في الممر، حتى صار الصمتُ أوفى زائر.

وجوه كثيرة لم تعد تظهر.

لم يبقَ إلا زوجته التي واصلت الإمساك بيده، بقيت كجذعٍ يقاوم العاصفة،

تُمسك بيده كمن يتمسك بذاكرة حياة كاملة.

وأخته نادية التي كانت تزوره كل مساء حاملة معها بعض الطعام والدموع.

دخل ابن عمه ذات مساء، رجل لم يزره منذ سنوات.

جلس على طرف الكرسي وقال بفتور:

"ربنا يشفيك يا محمود"

لم يطل جلوسه.

خرج سريعًا كأنه جاء ليؤدي مهمة ثقيلة.

وفي المساء التالي، جاء أحد معاونيه المقرّبين سابقًا، رجل طالما سعى إلى

رضاه.

سأل عن حالته وعاينها بنفسه،

عندما تأكد أنه لا أمل في عودته، انصرف.

لم يقل قليل او كثير.

لكن منى سمعت، وأدركت معنى هذه الزيارة جيدًا.

مع كل يوم يمر، تقلّصت الدائرة أكثر.

الغرفة التي كانت تضج بالزوار صارت ساكنة،

لا يملأها سوى صفير الأجهزة وصوت منى وهي تهمس:

"لا يهم من يجيء ومن يرحل... المهم أنك تسمعني. المهم أن تعود"

في أعماق غيبوبته،

كانت تلك الهمسات تتحول إلى ومضات نور تتخلل أحلامه الثقيلة كأن

قلبه، رغم الغياب، كان يعرف جيدًا من بقي بجواره ومن انصرف.

ترددت في قلبه كلمات بسيطة:

" النفوذ يُحشد القاعة، لكن الحب يُبقي من لا يحتاج إلى دعوة"

"الوعي قد يغيب، لكن الروح تظل ساهرة خلف الأبواب المغلقة"

فتح عينيه... فلم يجد قاعة محكمة ولا وجوهًا بلا ملامح.

هذه المرة وجد نفسه واقفًا أمام بيت قديم في حي شعبي، جدرانه باهتة وأبوابه من خشب ثقيل.

تردّد للحظة قبل أن يتقدم، ثم أدرك أن هذا هو بيته الأول، بيت الطفولة.

كان صبيًا صغيرًا، بزي مدرسي، يحمل حقيبة قماشية باهتة.

رأى نفسه هناك، يركض في الأزقة الترابية، يضحك مع أطفال الحي.

ظهر والده فجأة.

رجل طويل القامة، صارمة ملامحه، عيناه لا تعرفان المزاح.

كان يحمل عصا رفيعة ويقول له بصوت لا يقبل الجدل:

"الرجولة طاعة وانضباط. لا مجال للضعف يا محمود"

ارتجف الصبي، بينما الرجل يضع يده الثقيلة على كتفه.

شعر العقيد، وهو في جسده الراشد،

بارتعاشه الصغير داخله.

تغيّر المشهد بسرعة.

رأى نفسه شابًا في كلية الشرطة، يقف تحت شمس القاهرة اللاهبة.

العرق ينهال من جبينه، لكن رأسه مرتفع في فخر.

أصوات المدربين، وقع الأقدام، صرخات الطاعة، كل شيء بدا كأنه لحن عسكري يضبط إيقاع حياته.

وفي زاوية المشهد، لمح وجهه الشاب مرة أخرى، تلك النسخة التي رآها في الممر من قبل.

ابتسمت له ابتسامة ساخرة هذه المرة، وقالت:

"كنت أظن أن الانضباط يصنع إنسانًا... لكنك حولته إلى جدار تخفي خلفه خوفك"

حاول أن يرد، لكنه شعر أن الأرض تتشقق تحته, سقط في فراغ جديد، لا يحمل معه إلا صوت أبيه يصرخ: "لا مجال للضعف"

وصوت آخر، داخله، يهمس: "الضعف هو ما يجعلك إنسانًا"

كان الظلام كثيفاً جداً هذه المرة.

جدار إسمنتي رطب، أرضية باردة، باب حديدي يصرخ عند كل ارتطام.

أدرك محمود أنه في زنزانة.

لكنه ليس سجينًا . . . بل يقف أمام السجين.

في الركن البعيد جلس رجل يعرفه جيدًا.

ملامحه غائرة، عيناه تبرقان كذئب محاصر.

كان أحد أخطر المجرمين الذين قبض عليهم منذ سنوات,

تاجر مخدرات سفك دماءً كثيرة.

لم ينس يوماً كيف كان التحقيق معه...

كيف جلس أمامه وهو مقيد، وكيف ضـــغط عليه بأســـلوب قاسٍ حتى

انتزع الاعتراف.

الآن، بدا الرجل مختلفاً.

كان يبتسم ابتسامة عريضة وهو يقول:

"ألم تفتقدني، حضرة العقيد ؟

ها نحن وجها لوجه... بلا قيود، بلا مكتب، بلا رتبة."

شعر محمود بقبضة في صدره.

أراد أن يرد بحزم، أن يقول :

"أنت مجرم ! مكانك السجن !"

لكن صوته لم يخرج.

كان الهواء أثقل من أن يحمل كلماته.

اقترب الرجل ببطء، خطواته تتردد كدقات طبول معركة قديمة.

ثم وقف أمامه مباشرة، رفع يده، وأشار إلى عينيه:

"أنا لست عدوك. أنا أنت"

تجمد محمود.

رأى في عيني الرجل انعكاس صور لم يتوقعها ,

لحظة صرخ في وجه أحد جنوده الصغار حتى أبكاه.

لحظة تجاهل شـكاوى مواطن فقير لأن موضـوع شـكواه بدا له " ليس مهمًا بما يكفي"

نظرة أم تستجدي رحمته وعفوه عن ابنها المدمن.

كل هذه الوجوه كانت تطل من عيني المجرم كأنها تُحاكمه.

صرخ أخيرًا:

"كذاب! أنا لست مثلك"

ضحك الرجل، ضحكة أجوف من أعماق الزنزانة:

" أنت مثلي، لكنك ترتدي بدلة رسمية.

القسوة واحدة...

القناع فقط مختلف"

ثم اختفى فجأة، فظهرت مكانه مرآة.

اقترب محمود من المرآة، فرأى نفسه بوجه مزدوج،

نصفه ضابط متجهم، ونصفه مجرم مبتسم.

وفي تلك اللحظة،

سمع صوت زوجته يتردد بعيدًا، كأنها تناديه من ضفة أخرى:

"محمود... لا تنسَ أنك أكثر من قسوتك"

امتدت يد من داخل المرآة، تجذبه إلى الداخل.

وجد نفسه واقفًا في ساحة شاسعة، تمتد بلا حدود.

الأرضية من رخام أسود لامع، كأنها مرآة تعكس السماء الداكنة فوقه.

وفي الأفق، بدأ تتشـــكل مقاعد متدرجة، كأنها مدرّج روماني قديم، امتلأت بالوجوه.

لم تكن وجوه غرباء فقط،

أبوه، معلموه، زملاؤه الضباط، المجرمون الذين واجههم، زوجته، أخته،

حتى ابنه الصغير الذي كان يلوّح له فرحًا .

الجميع حاضر.

الجميع يحدق فيه.

وفجأة علا صوت ضخم، لا يرى صاحبه:

"أيها العقيد محمود العشماوي... أنت متهم أمام نفسك.

ستُعرض حياتك كلها، فصلًا بعد فصل، لتُحاكم على ما فعلت وما تركت"

ارتعش قلبه.

أحس أنه عارٍ تمامًا، بلا رتبة، بلا لقب.

حاول أن يتحدث، لكن حنجرته لم تُخرج سوى همهمة ضعيفة.

بدأت المشاهد تُعرض أمامه، كأنها شاشة ضخمة في وسط الساحة:

- مشهد وهو شاب طموح يقسم بشرفه أن يكون "درعًا للناس"
- مشهد آخر وهو يصرخ في أحد الجنود، يهينه أمام الجميع.
- مشهد وهو يرفض رشوة، ثم مشهد آخر وهو يغض الطرف عن خطأ من أجل "مصلحة عليا"
- مشهد وهو يحمل ابنه على كتفيه ويضحك بصدق، ثم مشهد آخر وهو يتجاهل مكالمة زوجته لأنه كان مشغولًا باجتماع.

كان يتقلب بين الأبيض والأسود.

بين الإنسان والسلطة.

بين النقاء والتشوه.

ثم قام أحد الحاضرين من المدرّج.

كان أبيه.

نظر إليه بصرامة وقال:

"أعطيتك الانضباط لتكون رجلًا... فهل صرت رجلًا حقًا؟"

ثم نهضت زوجته من بين الحضور.

لكنها لم تتهمه.

بل قالت بصوت مرتجف:

"أردتك زوجًا وإنسانًا... فهل بقي فيك الإنسان؟"

التفت إلى ابنه الصغير، فمد يده نحوه ببراءة.

لكن محمود لم يستطع أن يتحرك.

كان جسده ثقيلاً، كأن الأرض تمسك به.

عاد الصوت الضخم يدوّي:

" القضية لم تُحسم بعد . ما زال في قلبك نور وظل"

في تلك اللحظة، شعر أن كل الوجوه تقترب منه، تندمج، تتشكل في صورة واحدة: صورته هو.

كأن العالم كله مجرد مرآة ضخمة، تعكس محمود العشماوي... لا أكثر.

مرّت أسابيع منذ الحادث، والغرفة البيضاء أصبحت عالمًا صغيرًا لا يتغير فيه شيء سوى الوجوه.

الأجهزة تواصل عملها ببرود،

تصدر صفيرًا رتيبًا كأنها تذكّر الجميع بأن الوقت يمرّ... لكنه لا يتحرك.

كانت منى ما تزال تجلس بجواره،

تقرأ أحيانًا القرآن بصوت خافت،

وأحيانًا تحدثه عن تفاصيل البيت:

"شـــريف نجح في الامتحان يا محمود... قال لي إنه ما زال ينتظرك لتأخذه للنادي"

كانت كلماتها محاولة لإبقائه حاضرًا، ولو في وهمها.

جسدها الذي صار نحيلاً, الظلال السوداء التي بدأت ترتسم تحت عينيها, تقول انها ليست في أفضل حال.

أما نادية، أخته، فقد صارت تزوره على فترات متباعدة.

كانت تذرف دموعًا سريعة ثم تستأذن بالرحيل، متعللة بأبنائها أو أعمالها.

لم يكن في قلبها فتور، لكنها كانت أضعف من أن تواجه مشهدًا لا يتغير.

الأقارب الآخرون تراجعوا أكثر فأكثر.

في البداية كانوا يملؤون الغرفة بالأحاديث والهمسات، لكن مع مرور الوقت صاروا يكتفون بالاتصال الهاتفي أو إرسال السلام مع أحد الزائرين.

الغيبوبة الطويلة بدت لهم كحكم مؤجل، وكأنهم يخشون المشاركة في الانتظار.

أما زملاؤه في الوزارة، فقد انقسموا قسمين:

- بعضهم أظهر الاهتمام، يزور مرة كل شهر ليترك انطباعًا بالوفاء.
- وبعضهم لم يعد يظهر أبدًا، بل بدأ يملأ الفراغ الذي تركه محمود في العمل، يتسابقون على الكرسي الذي شغر بغيابه.

ذات يوم دخل أحد رؤسائه، جلس بضع دقائق ثم قال لزوجته بلهجة عملية:

"مدام منى... فكري في المستقبل.

تبدو هذه الغيبوبة الطويلة بلا مخرج.

نصيحتي... لا تعلقي نفسك بأمل كبير"

ثم خرج كما دخل، تاركًا وراءه برودة ثقيلة اثقلت كاهلها واقعدتها بجوار زوجها تبكي في صمت.

لكنها، بعد أن أُغلق الباب، أمسكت بيده بقوة أكبر وقالت بصوت خافت لكنه حاسم:

"حتى لو تركك العالم كله... سأبقى.

لا أصدق أنك ستتركني"

وبينما كانت الدموع تترقرق في عينيها، كانت تلك الكلمات تتسرّب، بطريقة ما، إلى أعماق محمود الغارق في غيبوبته.

هناك، في عالم آخر، تحولت كلماتها إلى شـــعاع يتردد بين ظلال محاكماته الداخلية.

فتح عينيه... فإذا به يقف على ضفة نهر واسع،

مياهه شــفافة لكنها ثقيلة، تجري ببطء كما لو كانت تحمل أســرار القرون.

لم يكن هناك جسر ولا قارب، فقط ماء ممتد حتى الأفق،

الضفة الأخرى غارقة في ضباب أبيض يشع نورًا غامضاً.

شعور قوي داخله يدفعه لعبور النهر.

تقدّم خطوة، فغاصت قدماه في الطين.

سمع صــوتاً داخليًا، لم يكن صــدى والده ولا ضــحكة المجرم... بل صــوتاً أعمق، كأنه آتٍ من ذاته الخفية:

"هذا هو النهر بين عالمين,

ضفته الأولى هي ما كنت، و ضفته الثانية هي ما قد تكون.

لكن عبوره لا يكون بالسلطة ولا بالقوة... بل بالصدق"

نظر إلى صفحة الماء، فإذا هي تتحول إلى مرآة ضخمة.

رأى نفسه فيها بثلاث صور متداخلة:

- طفل صغير يركض وراء حلم بسيط.
- ضابط شاب يرفع رأسه عاليًا تحت راية الشرف والانضباط.
- رجل منهك، ممدد على سـرير أبيض، تحيط به الأجهزة والوجوه المترددة.

مد يده إلى الماء، فإذا صـفحتها تهتز وتظهر كلمات متقطعة كأنها مكتوبة بالضوء:

"الحياة ليست ملكك... بل وديعة بين يديك"

رفع رأسه فرأى جبلاً شاهقًا ينهض على الضفة الأخرى.

سطحه تضيئه أشعة ذهبية، كأنه قِبلة لم يعرفها من قبل.

أدرك أن عليه أن يقطع النهر ليصـل إليه، لكن جسـده كان مثقلاً، وكلما حاول التقدم، ازدادت المياه عمقًا، كأنها تريد ابتلاعه.

ثم سمع صوتًا يعرفه،

كان صوت منى، لكن ليس من الخارج، بل من أعماق قلبه.

كانت تقول:

"سر قوتك ليس في أن تصل إلى القمة...

بل في أن تنهض كل مرة تسقط

فيها .

وأنا هنا، أنتظرك"

عندها، رأى يدًا من نور تمتد من الضفة الأخرى.

كانت يدها، واضحة، ثابتة.

ولأول مرة منذ بداية غيبوبته، شـعر أن الخطوة ممكنة، وأن عبور النهر ليس نهاية... بل بداية جديدة.

فتقدم وغاصت في النهر أقدامه .

كانت الغرفة في المستشفى هادئة على غير العادة.

صفير الأجهزة يسير بنغمة منتظمة، كأنها موسيقى مكررة.

منى مرهقة على الكرسي، رأسها مائل على حافة السرير، ويدها ما تزال ممسكة بيده الباردة.

فجأة... تغيرت النغمة.

صفير متقطع، متسارع، ثم ارتجّت الشاشة أمام السرير بخطوط غير منتظمة.

امتلأت الشاشة برسم اشبه بأسنان منشار,

"كود بلو! كود بلو, بسرعة"

انطلقت صيحات الممرضة، واندفع الأطباء إلى الداخل.

انقلب المشهد في لحظة إلى عاصفة,

كمامات، قفازات، أوامر متلاحقة:

"الضغط ينهار!

جهزوا جهاز الصدمات!"

انكمشت مني إلى الحائط،

قلبها يدق بعنف،

عيناها تتابعان الأطباء وهم يضغطون على صدره بقوة، بينما جسده يرتج مع كل ضغطة.

كأن الموت كان يجرّه بقوة إلى ضـــفة، والأطباء يحاولون شـــده بعنف إلى ضفتهم.

صارت أسنان المنشار خطاً يتموج,

"ثبّتوا خط الوريد

ضعوا كانيولا جديده,

أعطوه امبول أدرينالين"

مرت دقائق لكنها بدت كدهور.

لم تتمالك منى نفسـها ، اقتربت رغم محاولات الممرضـين إبعادها ، وضـعت

يدها على جبينه وصرخت:

"محمود ! لا تتركني... محمود ! عد من أجلي"

أخذتها احدى الممرضات للخارج رغم مقاومتها ,

في الداخل,

استمرت عمليات الضغط على الصدر واستمرت الأوامر بأسماء الأدوية .

في أعماق غيبوبته،

شعر محمود فجأة بيد قوية تنتشله من مياه النهر الثقيلة.

في اللحظة التي أوشـكت فيها الشـاشـة أن تتحول إلى خط مسـتقيم، عاد

النبض فجأة، ضعيفاً لكنه موجود.

أصدر الجهاز نغمة متقطعة منتظمة من جديد ، كأن القلب تذكّر مهمته.

تنفّس الأطباء الصعداء، وتراجعوا ببطء.

قال أحد الأطباء بصوت متعب كمن أنهى لتوه سباق الماراثون:

" لقد عبرنا العاصــفة... لكنه ما زال في دائرة الخطر. لقد كان قريبًا جدًا هذه المرة"

لم تسمع منى سوى جملة واحدة ظلت تتردّد في عقلها:

"كان قريبًا جدًا"

دخلت وشـدّت على يده أكثر، وأغمضـت عينيها، كأنها تُقسـم في سـرها ألا تسمح له أن يبتعد ثانية.

فتح عينيه هناك، فوجد نفسه واقفًا من جديد على الضفة،

يلهث...

لكنه لم يغرق.

كان النهر أمامه كما كان من قبل، لكن مياهه لم تعد بنفس العتمة الثقيلة.

الضـــباب ما يزال يغطي الضـــفة الأخرى، والجبل يلمع كقبلة بعيدة بألوانها الذهبية.

وقف محمود على الضفة، يتنفس بصعوبة، يشعر أن صدره ما زال يحترق من الغرق الذي نجا منه.

سمع الصوت الداخلي من جديد، هذه المرة أوضح:

"لقد أُعطيت فرصة ثانية.

لكن العبور ليس بالنجاة وحدها... بل بالاختيار"

اقترب من الماء بحذر.

مدّ قدمه الأولى، فشـــعر بالموج يتراجع قليلاً، كأنه يفســـح له الطريق.

مع كل خطوة، كانت صور حياته تتفجر من سطح النهر كفقاعات:

- وجه زميل خان ثقته.
- ابتسامة ابنه يوم انتظره ليعود به للبيت من المدرسة.

- دمعة سجينة توسلت الرحمة ولم يجد لها وقتًا.
- ضحكة صاخبة في جلسة مع مسؤول نافذ.

كل صورة ترتفع، ثم تتحول إلى موجة تحاول أن تعرقله.

كأن النهر نفسه يسأله:

"هل تقبل حياتك كما هي، أم تتخلى عن ثقلها لتصل؟"

توقف لحظة، شعر أن ساقيه لا تقويان على المضي.

وفجأة، سمع صوت منى مرة أخرى، يأتيه كخيط من الضفة الأولى، من العالم الذي يرقد فيه جسده:

"لا تنسَ... قوتك في أن تبدأ من جديد"

رفع رأسه، ورأى يدها النورانية تمتد من بعيد، لا لتسحبه، بل لتدعوه.

تذكّر وجه ابنه، ضحكة أخته، حتى قسوة أبيه... كلها اجتمعت في داخله كقوة واحدة.

عندها خطا خطوة أخرى، فإذا بالماء يتفتح تحت قدميه كجسر من نور.

لم يكن نهرًا يريد ابتلاعه، بل طريقًا يكشف نفسه مع كل قرار.

ابتسم لأول مرة داخل غيبوبته، وهمس:

"أنا لست أسير الماضي... بل صانع الغد"

وبينما اســتمر في التقدم نحو الجبل، شــعر أن ثِقَل جســده بدأ يخف، كأنه يتجرد من أعباء لم يعد بحاجة إليها.

بدأ صعود الجبل.

كانت الصخور حادة، والريح تعصف بملابسه، كأنها تريد تمزيقه.

كل خطوة يخطوها، يسقط عنه ثقل قديم.

في البداية سقطت رتبته العسكرية، اختفت النياشين والبدلة.

ثم سقطت صور المجد والسلطة، وتبخرت وعود النفوذ التي أثقلت صدره.

كل ما تبقى هو إنسان يتنفس بصعوبة، عارٍ من الزينة، عارٍ من الألقاب.

وصل إلى منتصف الجبل، فوجد بابًا حجريًا غامضًا.

انفتح الباب بصمت، وإذا داخله قاعة صغيرة، جدرانها من مرايا صافية.

اقترب، فرأى نفسه في المرايا... لكن ليس كما هو.

في مرآة أولى:

طفل ضعيف يختبئ خلف أمه.

في مرآة ثانية:

شاب متحمس يحمل السلاح ويقسم بشرفه.

في مرآة ثالثة:

رجل غاضب، عينيه ممتلئتان بالقسوة.

وفي المرآة الأخيرة:

رجل مُنهك، ممدد على سرير أبيض، وجهه بين الحياة والموت.

كل الصور كانت له.

كلها صحيحة.

كلها جزء منه.

سمع الصوت ذاته، عميقًا، لكن هذه المرة بدا أنه خرج من داخله هو:

"الحقيقة ليست أن تختار صورة واحدة... بل أن تقبلها جميعها .

أنت لست المجرّد من ضعفك، ولا المحصّن بسلطتك، ولا المرهق من جراحك ... أنت كل هذا"

انهمرت دموعه.

لأول مرة منذ بداية الغيبوبة، لم يحاول الإنكار أو الدفاع.

مد يده ولمس المرآة الأخيرة، فاختفت المرايا كلها ، وامتلأت القاعة بنور هادئ، كأن الجبل نفسه استسلم.

واصل الصعود.

كلما اقترب من القمة، خفتت الريح، وصار الهواء أصفى.

وحين بلغ القمة، لم يجد عرشًا ولا محكمة ولا جائزة.

وجد فقط فضاءً مفتوحًا ، سماءً ممتدة، وصوتاً همس في داخله:

"النجاة ليست في القوة... بل في الحب. العودة لا تكون إلا حين تدرك هذا"

عندها رأى يدًا مألوفة تمتد نحوه من الأفق.

كانت يد منى، ليست نورانية فقط، بل ملموسة، حقيقية، كما عرفها في كل صباح من حياته.

ابتسم، ومد يده إليها، وهمس بصوت يقطر صفاء:

"أنا مستعد للعودة"

شعر بدفء لم يكن من عالم الأحلام.

انحسر الضباب،

تلاشى النهر أسفل الجبل كأنه لم يكن.

سمع الصوت الأخير من داخله:

"لقد اخترت أن تعود .

تذكّر: الحب أثمن من كل قوة"

أغمض عينيه بخفة، وسمح للنور أن يغمره...

ثم بدأت الأصوات الواقعية تعود.

أصوات متقطعة في البداية: صفير جهاز، همهمة ممرضة، صوت خافت يقرأ آية:

"وجعلنا من الماء كل شيء حي"

شعر بثقل جفونه.

حاول فتحهما، فدخل خيط ضوء باهت أوجعه أول الأمر.

حاول ثانية... حتى رأى ملامح مألوفة فوقه,

منى، عيناها متورمتان من السهر والبكاء، لكنها تبتسم برعشة أمل.

تمتم بشفتيه بصوت ضعيف متقطع:

"منى"...

شهقت، وكأنها سمعت معجزة.

"محمود! حمدًا لله! رجعت لي"

اندفع الأطباء، أصواتهم هذه المرة حقيقية وحادة:

"إنه يستجيب"

"خرج من غيبوبته"

لكن محمود لم يرَ إلا وجه زوجته.

لم يسمع إلا صوتها وهي تبكي وتضحك في آن:

"كنت عارفه إنك هترجع... كنت واثقة"

رفع يده المرتجفة،

بالكاد تحركت أصابعه،

لكن ذلك كان كافيًا ليلمس يدها بيده, كأنه يقول بلا كلام:

"لقد عدت... بفضلك"

"القيود ليست ما يُكبّل الجسد... بل ما يَستسلم له العقل"

كان الاستيقاظ من الغيبوبة أشبه بالولادة من جديد.

كل شيء بدا غريبًا، حتى جسده.

عندما حاول أن يحرّك أصابعه، شعر بها كأنها ليست له.

استجابت ذراعاه بصعوبة، وساقاه ظلّتا ثقيلتين كقالب من الرصاص.

جلس الطبيب بجواره، صوته جاد لكنه دافئ:

"الحمد لله على السلامة يا افندم.

استيقاظك بعد كل هذه المدة معجزة,

لهذا... يجب أن تكون صبورًا, عمودك الفقري تعرض لإصابة شديدة،

وهذا يعني أننا سنحتاج وقتًا طويلًا لإعادة التأهيل"

هزّ محمود رأسه بخفة، لم يستوعب كل الكلمات، لكنه أدرك الجوهر:

لن يكون الأمر سهلًا.

في اليوم الأول، حاول الأطباء أن يجلسوه على السرير.

اجتاحه الدوار،

رأى الغرفة تدور حوله كدوامة.

أمسكت منى بكتفه وهمست:

"مهلًا... خطوة خطوة. المهم أنك معنا"

في اليوم الثاني، جاء فريق العلاج الطبيعي.

طلبوا منه أن يحرّك ساقه اليمنى.

ركز بكل قوته، تعرّق جبينه، ارتجف صدره، وأخيرًا تحركت أصابعه

ببطء شديد، كرفرفة جناح مكسور.

ابتسم الطبيب وقال:

"هذا تقدم عظيم"

لكن محمود شعر بالخذلان،

"كنت بالأمس أطارد المجرمين ... واليوم أحتفل بتحريك إصبع"

في الليل، ظلّ يحدق في السقف الأبيض، يتأرجح بين الامتنان لأنه حيّ،

وبين مرارة الإحساس بالعجز.

جلســـت منى بجواره، تنظر اليه بحب وحنان أم لقيت وليدها بعد طول غياب، وضعت يدها على يده وقالت:

"اسمعني يا محمود... هذه ليست نهاية رحلتك.

هذا امتحان.

وأنا معك، حتى آخر خطوة"

أغمض عينيه، ولأول مرة منذ اســـتيقاظه، سمح لدمعة أن تنحدر بهدوء على خده.

لم تكن دمعة ألم ... بل دمعة قبول.

العرش المكسور

صبيحة يوم من أيام المستشفى،

دخل الممرضون الغرفة وهم يدفعون شيئًا على عجلات.

كرسي متحرك.

لمع معدنه تحت ضوء النيون، كأنه سخرية قاسية من كل ما كان يمثله يومًا،

القوة، السيطرة، الوقوف منتصبًا أمام الجنود والمجرمين على حد سواء.

اقترب الطبيب وقال بهدوء عملي:

"عقيد محمود... سنبدأ اليوم مرحلة جديدة من العلاج.

هذا الكرسي سيكون وسيلتك للتحرك مؤقتًا، حتى تستعيد قوتك"

لكن الكلمة الأخيرة علقت في صدره" مؤقتًا"

هل هي حقيقة أم شفقة؟

أجلسوه على الكرسي، فشعر بثقل يهوي داخله أكثر من وزنه.

لم يكن مجرد كرسي...

بل كان عرشًا مكسورًا.

عرش رجل فقد قوته، وأصبح يرى العالم من مستوى أدنى، بينما كان معتادًا أن يعلو الجميع بنظراته.

دخلت أخته نادية في تلك اللحظة، نظرت إليه بنظرة عابرة حاولت أن تُخفيها... لكنها لم تنجح.

كانت خليطًا من شفقة وخوف.

التقطها محمود فورًا، فطعنت قلبه أكثر من أي جرح.

أمسك بيدي الكرسي ودفع نفسه إلى الأمام قليلاً، لكنه شعر أن كل حركة بطيئة، مرهقة، كأنها تُعرّيه أمام العالم.

عاد الليل، وبقي وحده مع نفسه.

جلس في الكرسي، يحدق في نافذة المستشفى.

تذكر كيف كان يجلس في مكتبه، يصدر الأوامر ويُهاب صوته.

الآن صوته بالكاد يخرج، وحركته بالكاد تُرى.

بدأت أسئلة قاسية تتدفق في داخله:

"هل ما زلت رجلًا؟ أم أن الرجولة سقطت مع عظامي المكسورة؟"

"هل ما زلت ضابطًا؟ أم أن البدلة لم تعد سوى قشرة على جسد عاجز؟"

وبينما يسبح في هذا الظلام، خطرت بباله صورة من الجبل الذي صعده في غيبوبته:

المرايا، الصور المختلفة لذاته، واليد النورانية التي قادته للعودة.

أدرك شيئًا لم يفهمه من قبل،

أن قوته الحقيقية لم تكن في قدميه ولا في سلطته، بل في قلبه وفيمن حوله.

همس لنفسه:

"ربما يكون هذا الكرسي امتحانًا...

عرشًا جديدًا، ليس للسيطرة، بل للتواضع.

ليس لقيادة الناس... بل لفهمهم".

أغلق عينيه، شعر أن روحه تهتز بين اليأس والقبول.

ثم سمع صوت منى تدخل الغرفة بخطوات هادئة.

وضعت يدها على كتفه وقالت:

"أنا لا أرى الكرسي يا محمود...

أنا أرى رجلاً ما زال قلبي يستند عليه"

عندها فقط، سمح لابتسامة باهتة أن تعود إلى وجهه، كأنها أول شعاع يضيء عرشًا كان مكسورًا... وبدأ يرمم.

مرت الأيام وهو يحاول التكيّف مع الكرسي.

لكن شيئًا في داخله كان يغلي...

كأن بركانًا يتكوّن في صدره، ينتظر الشرارة لينفجر.

في صباح يومٍ جديد،

جاء الممرض ليساعده في الانتقال من السرير إلى الكرسي.

مد يده بلطف، لكن محمود صرخ فجأة:

"اتركني! لست عاجزًا لتسحبني كطفل"

ارتجف الشاب وتراجع مرتبكًا،

هرعت منى نحوه:

"اهدأ يا محمود... هو فقط يحاول مساعدتك"

لكنه دفع يدها أيضًا بعصبية:

"مساعدة؟! أهذا ما تبقى لي؟

أن أنتظر مساعدة الناس ليُطعِموني ويُلبسوني كالعاجز؟

كنتُ أقف أمام المئات، يأتمرون بأمري، والآن... أحتفل ان اســـتطعت ان أحرك أصابعي؟"

أمسك بحافة الكرسي، دفعه بعنف نحو الجدار حتى ارتطم بصوت حاد.

سكت لحظة، أنفاسه متقطعة، عيناه تلمعان بغضب ممزوج بدموع.

قال بصوت مخنوق:

"أي حياة هذه؟! ماذا أبقى لي؟! أن أعيش نصـــف رجل؟! لو كنت متُّ في الحادث لكان أهون"

عمّ صمت ثقيل.

اقتربت منه منى ببطء، لم تحاول هذه المرة أن تلمسه.

جلست أمامه، في مستوى عينيه، وقالت بهدوء ممزوج بألم:

"أنت لا ترى ما أراه يا محمود,

أنا لا أرى نصف رجل,

بل رجل يتعلم أن ينهض من هاوية عميقة.

غضبك حق... لكن لا تجعله سجنك الجديد"

أطرق برأسه، وأدرك أنه يختنق داخل قوقعة كبريائه.

الغضب لم يكن على الكرسي فقط، بل على نفسه، على صورته التي تحطمت، على خوفه من أن يظل سجين العجز إلى الأبد.

نظر إلى الكرسي أمامه كأنه خصم.

لكن في أعماقه سمع صدى من رحلته القديمة في الغيبوبة:

"القوة ليست أن تهزم خصمك... بل أن تعترف بضعفك"

أسند رأسه إلى حافة السرير، وأجهش ببكاء صامت، كأن البركان الذي تفجّر لم يترك وراءه سوى رماد يبحث عن معنى جديد.

بعد أسابيع من العلاج، أذن له الأطباء بخروج مؤقت إلى البيت.

كانوا يريدون له أن يتنفس هواءً مختلفًا عن رائحة المطهرات والأسِرّة المعدنية.

رتبت منى كل شيء: سيارة خاصة، وسادة صغيرة خلف ظهره، مسند للقدمين.

جلس في الكرسي المتحرك عند بوابة المستشفى، ورفع رأسه لأول مرة ليرى السماء دون حاجز الزجاج.

شمس القاهرة كانت حادة، لكنها بدت له كحضن صاخب يذكّره أنه ما زال في الدنيا.

تحرك الكرسي على الرصيف، تقوده منى بحذر.

كل متر يقطعانه كان امتحانًا جديدًا،

امتحان لم يكن في عضلاته، بل في قلبه.

ثم ساعدوه لركوب السيارة.

عند مدخل الحي، خرج الجيران يستقبلوه.

كان بعضهم مبتسمًا بصدق، يصفقون له كأنهم يستقبلون بطلاً عاد من معركة,

"الحمد لله على السلامة يا باشا"

شعر أن كلماتهم تُسند قلبه، كأنها أيدٍ خفية ترفعه.

لكن آخرين كانوا أقل رحمة.

وقف رجل عجوز في زاوية الطريق، همس لجاره بصوت سمعه محمود:

"سبحان مغير الأحوال... كان راعب الشوارع، دلوقتي مش قادر يحرك رجليه"

تبعتها ضحكة خافتة، اخترقت قلب محمود كخنجر.

حاول أن يتماسك، لكن الكلمات ارتجت في داخله,

هل صرت أضحوكة؟ هل فقدت هيبتي إلى هذا الحد؟

ثم جاءت مجموعة شباب صغار، اقتربوا منه بابتسامة صافية.

مد واحد منهم يده وقال:

"إحنا فخورين بيك يا باشا... إن شاء الله تقوم تاني بالسلامه"

امتلأت عيناه بدموع لم يرد أن يراها أحد، شكرهم بصوت مبحوح:

"شكرًا"

من بين المارة ظهرت امرأة عجوز، توقفت عنده، وضعت يدها على كتفه وقالت:

"يا بني... ممكن الدنيا تاخد منّا رجلين، تاخد منّا صحة،

لكن لو فضلت الروح صاحية، الإنسان يقدر يقوم تاني.

أنا مش شايفة كرسي... أنا شايفة امتحان، ربنا بيربي بيه القلوب"

اخترقت الكلمات غضبه مثل مطر هادئ أصاب أرض عطشى.

شعر أنها ليست مجرد كلمات عابرة،

بل رسالة من سماء يعرفها.

حين وصل إلى بيته، كان مرهقًا جسديًا،

لكن شيء بداخله اختلف,

لقد رأى وجهين للحياة,

وجه يسخر من الضعف، ووجه آخر يرفع من يحاول النهوض.

وعرف أن عليه أن يختار أيهما سيصدّق.

جلس في شرفة البيت، ينظر إلى الشارع,

مرّ الناس من كل صنف.

تمتم لنفسه:

"العجز الحقيقي مش في الجسم, العجز إنك تستسلم"

سمعت منى كلماته، ابتسمت بدمعة صغيرة، وهمست:

"هذا أنت الذي أحببته...

ليس الرجل الذي يقف على قدميه، بل الذي يقف بقلبه"

لم يمر وقت طويل على عودته إلى البيت حتى بدأت علامات غريبة تظهر.

في البداية كان الأمر مجرد سعال متقطع.

ظنّته مني إرهاقًا، لكن السعال اشتدّ حتى صار يهزّ صدره كله كزلزال داخلي.

ارتفعت حرارته.

شعر بثقل في صدره، وضيق تنفس جعله يلهث كمن يغرق بلا ماء.

حين جاء الطبيب لزيارته، تجهم وجهه وقال:

"هناك التهاب رئوي... غالباً عدوى فيروسية.

يجب إدخاله المستشفى فورًا،

الوضع لا يحتمل الانتظار"

أعادوه إلى السرير الأبيض كمن يعاد إلى بداية السباق بعد ان ركض فيه.

أحاطت الأجهزة به مرة أخرى.

كان كأن القدر يسخر منه,

عندما ظن أنه بدأ ينهض، جاءه سهم جديد ليعيده إلى السرير.

هذه المرة لم يكن الألم جسدي فقط، بل اضيف اليه ألم نفسي.

شعر أن كل ما حققه من شجاعة في مواجهة الكرسي تبعثر فجأة.

في الليل، بينما كان قناع الأكسجين يجثم على فمه وانفه،

هاجمته دوامة أسئلة ثقيلة:

"لماذا يا رب؟

أليس يكفي ما أنا فيه؟

أليس يكفي الكسر والكرسي؟

هل عليّ أن أختنق أيضًا ؟"

انزلق في ظلام داخلي أعمق، كأنه يعود إلى هاوية الغيبوبة الأولى، لكن هذه المرة بلا محاكم ولا جبال... فقط فراغ بارد.

جلست منى بجواره، تمسح عرقه، تدعو بصوت مرتجف،

لكنها حين رأت عينيه الزائغتين، أدركت أنه ليس مريضًا بجسده فقط...

بل أسير حزن يلتهمه.

قالت له بحزم لم يعهده منها:

"محمود... اسمعني.

المرض سيزول، الرئة ستشفى،

لكن إن تركت نفسك لهذا الظلام، لن ينقذك دواء.

أرجوك... تمسك بي، كما تمسكت بك يوم الغيبوبة.

لا تخذل نفسك"

أغمض عينيه ولم يرد.

كانت دمعة باردة تسيل على وجنته كافية لتعرف أنه يسمعها... لكنه كان غارقًا في يأس يثقل أنفاسه أكثر من الالتهاب.

قال الطبيب في الصباح بقلق:

"جســده يقاتل، لكن حالته النفســية مقلقة... يجب أن نقوي عزيمته قبل أن يستسلم"

وهكذا، بدا أن المعركة لم تعد مع الفيروس وحده، بل مع الروح نفسها:

هل تنهزم تحت ثقل الامتحان، أم تجد من جديد نافذة نحو الضوء؟

في ليلة مثقلة بالسعال والحمّى،

غفا محمود على وقع صفير الأكسجين.

لم يكن نومًا هادئًا، بل انزلاقًا بطيئًا إلى فراغ داكن.

وجد نفسه وحيدًا في غرفة بلا نوافذ.

هواء شحيح، كأن الغرفة كلها تبتلع أنفاسه.

كل محاولة للشهيق كانت صراعًا، وكل زفير يخرج منه كصرخة مكتومة.

وفجأة، رأى الجدران تنكمش نحوه، تقترب شيئًا فشيئًا حتى صارت تضغط صدره.

أراد أن يصرخ، لكن صوته لم يخرج.

أراد أن يطرق الباب، فلم يجد بابًا.

من بين الظلال ظهر وجه مألوف... لم يكن إنسانًا، بل تمثالًا حجريًا يشبهه.

نفس ملامحه، لكن باردة، جامدة، لا نفس فيها.

قال التمثال بصوت أجوف:

"أنت لست بحاجة إلى الهواء... لأنك مجرد حجر. الحجر لا يختنق."

حاول محمود أن يرد، لكنه لم يقدر.

شعر أن التمثال يسلب منه آخر بقايا إنسانيته.

ثم، وسط هذا الاختناق، انبثق خيط رفيع من الضوء في أعلى الجدار.

ومن خلاله، سمع صوتًا ناعمًا، كأن الريح نفسها تهمس:

"الحجر لا يختنق، لكن الإنسان لا يعيش بلا هواء.

ليس الهواء ما يدخل صدرك... بل ما ينعش روحك.

اقترب من الخيط، مد يده المرتجفة.

كلما اقترب، شعر أن رئتيه تتفتحان كزهرتين عطشى.

اندفع النور فجأة، فتح جدارًا كاملًا، وانسكب هواء نقي، بارد، عميق.

شهق محمود شهقة طويلة، كأنه يتذوق النفس لأول مرة.

"الهواء الحقيقي هو الرجاء... إذا فقدته، اختنقت الروح قبل الجسد"

استيقظ بعدها على صوت جهاز الأكسجين في المستشفى،

لكن هذه المرة كان صدره أهدأ قليلاً، وكأن حلمه أهداه نفسًا جديدًا لا يصدر من وصلات الأوكسجين... بل من داخله.

مع انبلاج الصباح، لاحظ الأطباء تغيرًا في ملامحه.

انخفضت حمّى الليل، السعال لم يعد كالسابق، والتنفس صار أكثر انتظامًا.

حرارته لم تعد تحرق جبينه، أنفاسه لم تعد تصارع، بل تتماوج كأمواج صغيرة تعود للهدوء.

قال الطبيب وهو يراجع المؤشرات:

"الحمد لله، هناك تحسن جيد... الالتهاب بدأ يتراجع.

سيحتاج الشفاء وقتًا، لكن الجسد يقاوم"

جلست منى بجواره، تراقب أنفاسه.

كانت تسمع صفير الأكسجين أقل حدّة، وتشعر أن الهواء يعود ببطء إلى صدره كما يعود الربيع إلى شجرة ذابلة.

أما محمود، فقد كان يعيش أمرًا مختلفًا.

لم يرَ التحسن مجرد استجابة دوائية، بل امتدادًا للرؤية التي عاشها:

النور الذي فتح الجدار في حلمه ما زال يضيء أعماقه.

كل نفس يأخذه لم يعد مجرد هواء... بل وعد بأن روحه تستطيع النجاة.

في إحدى الجلسات، طلب منه الطبيب أن يحاول التنفس بعمق من دون الاعتماد الكامل على الجهاز.

تردد أول الأمر، كأنه طفل يتعلم المشي من جديد.

ثم أغلق عينيه، وأخذ نفسًا طويلاً...

دخل الهواء إلى رئتيه ببطء، لكنه وصل.

فتح عينيه، وفيها لمعة صغيرة لم يرها أحد منذ أسابيع.

قال الطبيب مبتسمًا:

"ممتاز... هذا هو الطريق"

في تلك الليلة، جلس محمود على سريره، متكئًا على الوسائد، والنافذة

نصف مفتوحة.

تسلل هواء الليل إلى الغرفة يحمل معه برودة لطيفة ورائحة بعيدة للياسمين.

ابتسم وهو يهمس لنفسه:

"كل نفس هواء هو هدية...

كنت أظنه حقاً مضموناً، فإذا به معجزة تتكرر في كل لحظة"

سمعته منى، اقتربت منه، وضعت يدها على كتفه وقالت:

"هذا الكلام هو دليل أنك بدأت تشفى...

ليس فقط جسدك، بل روحك أيضاً"

لم يرد، فقط أغمض عينيه، وترك أنفاسه تنساب في هدوء،

كما لو كان يكتب في داخله عهدًا جديدًا:

"لن أضيّع هواء الحياة مرة أخرى... ولن أختنق إلا من فرط الامتنان"

"كلمات الأطفال قطرات ندى؛ تنعش القلب الجاف، فتوقظ فيه الحياة"

في صباحٍ هادئ داخل المستشفى، سمع محمود أصواتًا غير مألوفة.

ضحكات عالية، وقع خطوات صغيرة، ولغط يشبه زقزقة عصافير.

فتح عينيه فرأى مجموعة من الأطفال يتحركون خارج غرفته مع معلميهم، يحملون رسومات وورودًا .

كانت زيارة ميدانية لدعم الضباط المصابين نظمتها أحد المدارس .

بدا محمود مترددًا, لم يعرف إن كان ســـيتحمل لقاء أحد وهو على حالته هذه؟

طرقت الباب بخجل,

دخلت على استحياء منعه أن يردها ,

ثم اقتربت منه,

طفلة صغيرة،

لا يتجاوز عمرها العشر سنوات.

كانت تحمل دفتر رسم صغير، وعيناها تلمعان بفضول طفولي.

قالت بخجل، ثم بجسارة صافية:

"حضرتك كنت في عملية مش كده؟"

تردد لحظة، ثم أجاب بصوت منخفض:

"نعم... كنت."

فتحت دفترها، وأرته رسمة لشرطي يرفع العلم وسط أطفال يضحكون.

قالت:

"أنا رسمت دي مخصوص ليك... علشان أشكرك. بابا بيقول إن الضابط هو اللي بيخلي الطريق أمان وأنا رايحة المدرسة"

تأمل الرسمة.

خطوطها كانت بسيطة، غير متقنة، لكن فيها صدق.

ابتسم محمود ابتسامة حقيقية لأول مرة منذ زمن.

جلسَت الطفلة على الكرسي المقابل، وقالت بعفوية:

"حضرتك زعلان علشان رجلك مش بتتحرك كويس؟"

أطرق برأسه قليلًا، ثم أجاب:

"شوية... نعم"

هزّت رأسها كأنها تفكر بجدية أكبر من سنّها، ثم قالت:

"أنا كمان كان عندي كسر في إيدي السنة اللي فاتت. ما كنتش عارفة أكتب في المدرسة.

زعلت جدًا. بس ماما قالت لي: المهم إن قلبك لسه عارف يكتب.

وأهه... رجعت إيدي تتحرك ورجعت اكتب"

تسمرت كلمتها في قلبه:

" المهم إن قلبك لسه عارف يكتب"

ابتسم لها، وقال وهو يحاول أن يخفي دمعة في عينه:

"إنتِ عارفة يا حبيبتي... يمكن قلبي فعلاً محتاج يكتب من جديد"

ضحكت وقالت ببساطة:

"يبقى لازم تكتب بسرعة... علشان المرة الجاية ألاقيك واقف مش قاعد"

ضحك،

ضحكة لم يضحكها منذ أشهر.

شعر أن هذه الصغيرة أعطته أكثر مما أعطته كل كلمات الكبار,

أمل بريء، لا يحمل شفقة ولا مجاملة.

قبل أن تغادر، ناولته زهرة بلاستيكية صغيرة كانت في يدها.

قالت:

"دي مش هتذبل أبداً... علشان تفتكر دايمًا إنك قوي"

نظر إلى الزهرة وهو يتمتم:

"حتى الحديد يذوب... لكن كلمات الأطفال تبقى"

حين غادرت، بقي محمود صامتاً، يبتسم لنفسه.

أمسك بيد منى وقال بجزم لم تسمعه منذ إصابته:

"أنا هقوم... هقوم تاني، مهما أخد وقت.

مش بس علشاني ... علشانهم هما كمان"

وفي صباح اليوم التالي، جلس محمود في صالة العلاج الطبيعي.

الأجهزة المعدنية اللامعة، الحبال المطاطية، والعصـــي الخشـــبية بدت له كساحة معركة جديدة.

لكنه هذه المرة لم يشـــعر بالرهبة ... بل بالحماس، كأن الطفلة الصـــغيرة ما زالت تجلس أمامه، تبتسم وتطالبه أن يكتب بقلبه من جديد.

وقف المعالج بجواره، وقال بابتسامة مشجعة:

"اليوم يا سيادة العقيد سنبدأ خطوات حقيقية.

لن تكون سهلة، لكنها الطريق الوحيد"

أمسكوا بذراعيه،

ساعدوه على تثبيت جسده.

قدماه ارتجفتا كأرض زلزالية تحت عمود ضعيف.

شعر بألم حاد يضرب عموده الفقري، فتقطبت ملامحه، لكنه لم يئن،

عضّ على شفتيه كجندي يرفض الاستسلام.

خطوة... ثم سقوط إلى الكرسي.

لكن لم يعد السقوط هزيمة.

رفع رأسه وقال بصوت لاهث:

"تاني"

أعادوا المحاولة.

خطوة أولى، خطوة ثانية... ســـاقه كأنها حجر ثقيل، لكنه يجاهد لدفعها بكل ما تبقى فيه من عزيمة.

سقط مجددًا، والعرق يتصبب من جبينه.

ضحك المعالج بخفة وقال:

"ليس المهم كم خطوة حققت اليوم... المهم إنك قررت ان تقف"

في المساء، كان جسده كله يؤلمه.

كل عضلة تصرخ.

لكن قلبه كان ساكنًا بشكل لم يعرفه من قبل.

جلس على الكرسي ينظر إلى الزهرة البلاستيكية التي أهدتها له الطفلة،

وقال لنفسه:

"هذه ليست مجرد زهرة... إنها أمر تكليف.

أنا لن أبقى أسير هذا الكرسي."

في اليوم التالي عاد إلى الصالة.

حاول من جديد.

زالت خطواته متعثرة،

الألم لا يرحم، لكن في كل مرة يسقط... ينهض وهو يتمتم:

"الهواء رجاء... والرجاء لا ينقطع"

كانت منى تتابعه من بعيد،

عيناها تمتلئان بالدموع،

لكنها لم تتدخل, أرادت أن يرى بنفسه أنه لا يحتاج إلى من يرفعه، بل يحتاج فقط أن يؤمن بقدرته على النهوض.

في نهاية الأسبوع،

استطاع أن يقف لثلاثين ثانية كاملة دون دعم.

ثلاثون ثانية فقط... لكنها بدت له أثمن من كل سنوات قوته الماضية.

أغمض عينيه، شعر أن الأرض تحت قدميه ليست أرضاً, بل بداية طريق طويل، طريق لن يمشيه أحد بالنيابة عنه.

في صباح مشمس، اصطحبوه إلى صالة العلاج من جديد.

لكن هذه المرة كان المشهد مختلفاً,

قضبان معدنية طويلة تمتد على جانبي ممر ضيق،

جهاز داعم للظهر، وأحزمة تُثبت ساقيه بجذر.

وقف أمامها محمود، يتأملها بارتباك.

كانت القضبان تبدو له مثل جسر بين عالمين,

عالم الجلوس والجمود...

او عالم النهوض والحركة.

قال المعالج بثقة:

"اليوم يا سيادة العقيد، هنجرب خطوات حقيقية,

مش لوحدك... القضبان هتسندك، وأنا جنبك.

المهم إنك تجرب."

أخذ نفسًا عميقاً، مد يديه المرتجفتين ليمسك بالقضبان.

بدأ العرق يتصبب من جبينه حتى قبل أن يتحرك.

رفع قدمه اليمنى ببطء،

كانت كأنها كتلة من حديد تشدها جاذبية الأرض كلها.

ثم وضعها على الأرض أمام الأخرى.

خطوة واحدة.

لكن صدى هذه الخطوة تردد في قلبه كنبض جديد.

منى، التي جلست على مقعد قريب تراقب، لم تستطع منع نفسها من التصفيق الخافت.

همست بعينين دامعتين:

"شاطر... هذا أنت يا محمود. هذا أنت الذي أعرفه"

شعر أن كلماتها أقوى من الأجهزة كلها.

دفع بقدمه الأخرى، خطوة ثانية، ثم ثالثة.

جسده يئن، ظهره يؤلمه، لكنه تمسك بالقضبان كمن يتمسك بخيط حياة.

توقف قليلاً، لهث بصوت مرتفع.

أراد أن يستسلم.

لكن حين التفت فرأى منى تبتسم له، ترفع يدها كمن تهتف في معركة،

قال في نفسه:

"لا أستطيع أن أخسر أمام عينيها"

وجد نفسه يواصل.

خطوة بعد أخرى... حتى قطع الممر كله.

حين وصل إلى النهاية، سقط على الكرسي منهكاً، جسده يصرخ من الألم،

لكنه ابتسم ابتسامة لم يرها المعالجون من قبل.

اقتربت منى، وضعت يدها على يده وقالت:

"أرأيت؟! لقد مشيت. لن ينكسر شيء فيك ما دمت تريد النهوض"

أطرق برأسه، تمتم بصوت مبحوح:

"لم أمشِ وحدي... كنتِ أنت قدمي الأخرى."

في المساء، بعد جلسة العلاج المرهقة، عاد إلى غرفته.

جلس على الكرسي المتحرك، جسده يئن من التعب، لكن عينيه تلمعان بضياء غريب.

أمام النافذة، كان يرى أفق القاهرة في غروبها,

ألوان برتقالية تتماوج مع زرقة المساء، كأن السماء نفسها تتأمل.

أغمض عينيه، واستعاد المشاهد كلها,

الانهيار في الحادث، الغيبوبة الطويلة، المحكمة الرمزية في حلمه، النهر والجبل، صرخات الغضب على الممرضين، زهرة الطفلة، يد منى الممسكة به، وأخيرًا الخطوة الأولى التي اهتزت لها الأرض تحت قدميه.

قال لنفسه بهدوء:

"كم مرة سقطتُ؟ كم مرة ظننتُ أنني انتهيت؟ لكن السقوط لم يكن موتًا... كان بداية لصعود جديد"

شعر أن حياته كلها لم تكن سوى سلسلة من هذه الثنائيات:

- السقوط والصعود.
- الانكسار والشفاء.
- الخوف والشجاعة.
- الخذلان والأمل.

فهم فجأة أن القوة لم تكن يومًا في عدم السقوط... بل في أن يسمح لنفسه أن يقوم بعد كل سقوط.

تذكر وجه الطفلة الصغيرة حين قالت:

"المهم إن قلبك لسه عارف يكتب"

ابتسم وقال:

"نعم... القلب يكتب بالحبر والدموع والعرق. يكتب بالضعف مثلما يكتب بالقوة"

نظر إلى منى التي كانت نائمة على كرسي بجواره من شدة الإرهاق.

اقترب منها بهدوء، لمس يدها ، وتمتم بصوت خافت:

"لولاكِ، لكنتُ حجرًا غارقًا في العدم. لكنكِ جعلتِني أكتشف أن الإنسان لا يقوم وحده... بل يقوم بمن يحبونه"

ثم رفع بصره إلى السماء، حيث ظهر أول نجم خافت في الليل.

قال في سرّه:

"رباه... لقد تعلمت درسي, الحياة ليست خطًا مستقيمًا... بل سقوط وصعود, وكل سقوط، إن صبرت، هو سلّم جديد إلى الأعلى"

ابتسم، وأغمض عينيه.

كان جسده مثقلًا، لكن روحه لأول مرة منذ الحادث شعرت بالخفة...

كأنها تتنفس أفقًا أوسع من رئة الجسد.

في صباحٍ مختلف، دخل محمود صالة العلاج وهو يحمل في عينيه بريقًا .

جلس المعالج أمامه وقال بابتسامة مترددة:

"اليوم ممكن نجرب حاجة جديدة... نمشـــي من غير الأجهزة، بس مع وجودي جنبك. جاهز يا سيادة العقيد ؟"

لم يتردد محمود.

قال بثقة هادئة:

"جاهز"

وقف ببطء.

ارتجف جسده، قدماه كأنهما تبحثان عن أرض صلبة تحت رمال متحركة.

لم يكن هناك قضبان ليسند نفسه عليها ، فقط ذراع المعالج على مقربة، ووجه منى الذي يملأ المكان كله دعاءً وصمتاً مشجعًا.

أخذ نفسًا عميقًا,

حرّك قدمه اليمنى خطوة صغيرة.

لم يسقط.

حرّك اليسرى... خطوة ثانية.

الهواء من حوله بدا أثقل من وزنه كله، لكنه ظل يندفع.

خطوة ثالثة.

وقف متجمدًا، كأنه يخشى أن ينهار في أي لحظة.

لكن حين التفت، ورأى منى تضع يدها على قلبها ودموعها تنهمر، شعر أن الأرض تحمله، لا العكس.

خطوة رابعة.

ثم جلس على الكرسي، يلهث كعدّاء أنهى سباقًا مرهقًا.

ضحك المعالج وهو يربت على كتفه:

"مبروك يا بطل... مشيت من غير أجهزة. دي بداية جديدة"

اقتربت منى، أمسكت بيده بقوة وقالت بصوت مرتجف:

"رأيت؟! كنتَ تقول لن أستطيع... وها أنت فعلتها.

هذه ليست مجرد خطوات، هذه ولادة ثانية"

أغمض محمود عينيه، تنفس ببطء، وتمتم:

"اليوم لم أمشِ برجلي فقط... بل بروحي أيضاً."

نظر إلى الزهرة البلاستيكية التي أصبحت رفيقته أينما ذهب، ابتسم وقال في نفسه:

"لقد بدأتُ أزهر من جديد"

بعد أسابيع من التدريب والعرق والدموع، كان محمود يقف في ممر المستشفى،

يمشي بخطوات أبطأ من أي إنسان عادي، لكنها بالنسبة له كانت خطوات النصر.

تبادل أطباؤه نظرات مستبشرة مليئة بالسعادة،

قال المعالج وهو يبتسم:

"أظن أننا اقتربنا من النهاية هنا... والبداية هناك، في بيتك"

حين أخبروه بقرار الخروج، شعر قلبه يخفق كمن يعود من منفى طويل.

منى لم تستطع إخفاء فرحتها، فابتسمت والدموع تملأ عينيها:

"البيت اشتاق لك، وأنا أيضاً"

خرج من أبواب المستشفى متكئًا على عكازين، لكن عينيه لم تكونا تنظران إلى الأرض، بل إلى السماء.

لفح الهواء الطلق وجهه، أدفأ ضـوء الشـمس جلده، فأحس كأنه يولد من جديد.

كل نفس في صدره بدا أعذب من كل الأدوية التي ملأت جسده.

حين وصل إلى البيت، أحس أنه يبدأ حياة أخرى.

تجمع الجيران، بعضهم يصفق، آخرون ابتسموا في صمت.

الـذين كـانوا يرمقونـه بشـــفقـة من قبـل ركضـــوا نحوه ببراءة، يرددون:

"الحمد لله على السلامة يا باشا"

جلس في غرفة الجلوس، على الأريكة التي غاب عنها شهورًا.

الهدوء يملأ المكان، لكن داخله لم يكن هدوءًا عاديًا, كان ســـكينة نادرة، مزيج من التعبير والامتنان.

تأمل الجدران، الأثاث البسيط، الصور القديمة.

كل تفصيله بدت له أثمن من أي امتياز وظيفي أو منصب كان يتباهى به.

مد يده ليمسك بكوب شاي أعدته منى، ارتجف قليلاً لكنه أمسك به، رفعه إلى شفتيه وقال مبتسمًا:

"هذا أطيب من كل الانتصارات"

جلست منى إلى جواره، وضعت رأسها على كتفه وقالت بهدوء:

"لقد عدت، وهذه المرة لستَ كما كنت، بل أقوى"

أغمض عينيه، شعر أن كلماتها تصدح في داخله:

"عدت، لا كضابط،

بل كإنسان يدرك أن الحياة هبة،

وأن كل خطوة فوق الأرض معجزة"

أيامه الأولى في البيت لم تكن سهلة.

صوت الملاعق في المطبخ، خطوات منى بين الغرف، ضحكات الجيران من بعيد, تفاصيل يومية عابرة، لكنها بالنسبة لمحمود بدت كقصائد حياة جديدة.

لكنه في المقابل واجه مشقة لم يكن يتوقعها,

أن ينهض من الكرسي ليصل إلى السرير، أن يدخل الحمام أو حتى أن ينحني ليلتقط شيئاً وقع على الأرض.

كان يلهث أحياناً من مجهود بسيط، ويشعر أن جسده يخونه.

لكن منى كانت دائمًا هناك،

في الصباح، كانت توقظه برائحة القهوة، وتضع أمامه صحيفة اليوم.

يضحك ويقول:

"كل شيء تغيّر, لكن قهوتك لم تتغير"

فتبتسم ولا ترد .

في المساء، كانا يجلسان معًا في غرفة المعيشة.

هو يقرأ كتابًا قديمًا عن الفلسفة، وهي تحيك شيئًا من الصوف.

أحيانًا يسود الصمت، لكن صمتًا مريحًا، كأن البيت كله يتنفس ببطء معهما.

ومع ذلك، لم يكن يخلو من لحظات الإحباط.

حين يسقط كوب من يده، أو حين يتعثر في السير بعكازه، كان الغضب يشتعل في داخله.

"كنتُ أركض وراء المجرمين في الأزقة! والآن لا أستطيع أن أفتح باب الثلاجة"

اقتربت منه منى، جلست أمامه وقالت بنبرة حازمة وحنونة معًا:

"أنت لم تخسر شيئًا, بل كسبت ما هو أثمن. الآن تعرف قيمة كل حركة، كل نفس، كل لحظة"

سكت، ثم تنهد بعمق.

في الليل، وهو ممدد على سريره، فكر في كل ذلك.

البيت لم يعد مجرد مكان يعيش فيه،

بل صار مختبرًا جديدًا للحياة.

يتعلّم فيه أن البساطة معجزة،

وأن الروتين اليومي ليس ثِقلاً، بل موسيقى خفية تنسج خيوط الطمأنينة.

ابتسم وهو يغفو، يتمتم في نفسه:

"لم أعد أحتاج لمعركة كي أشعر أنني حي،

يكفيني أن أرى قهوتها كل صباح،

وأسمع صمتنا كل مساء"

في الصباح، جلس محمود أمام النافذة يتأمل حركة الشارع,

الأطفال في طريقهم إلى المدرسة، الباعة ينادون على بضاعتهم، وسيارات

الشرطة تمر أحيانًا بأصوات صافراتها المميزة.

كان ينصت لتلك الأصوات وكأنها تناديه باسمه.

سأل نفسه:

"هل انتهت خدمتي حقًا؟ هل أصبحتُ غريبًا عن الميدان الذي عشت

فيه عمري؟"

لاحظت منى شروده، وضعت كوب القهوة أمامه وسألته بلطف:

"بتفكر في إيه؟"

تنهد وقال:

"هو أنا ممكن أرجع الشغل تاني؟ مش زي زمان، مش مطاردات أو

عمليات, لكن على الأقل أكون موجود .

في المكتب، في التخطيط، في التدريب, أي دور"

ابتسمت منى، لكنها لم ترد بسرعة.

جلست مقابلة له وقالت بهدوء:

"أنا أعرفك، لا تشعر أنك كامل إلا إذا كنت في قلب العمل.

لكن قبل أن تعود، اسأل نفسك: هل تعود لأنك تحتاج المنصب أم لأنك تريد أن تخدم الناس من جديد؟"

سكت محمود طويلًا، شعر أن سؤالها كان أعمق مما توقع.

ثم قال بثقة مترددة:

"أظن، أريد أن أخدم.

لكن هذه المرة بوعي مختلف.

لم يعد الأمر عندي مجرد أوامر أو تقارير،

الآن أفهم معنى أن يظل الطريق آمنًا لطفلة تمشي للمدرسة، أو أن يعود أب إلى بيته سليماً.

أنا لم أتعلم هذا في أي تدريب، بل تعلمته على سرير الغيبوبة"

ابتسمت منى ووضعت يدها على يده:

"إذن عد . عد وأنت هذا الرجل الجديد, لا الرجل الذي سقط"

في المساء، اتصل بأحد زملائه.

ســـأله عن إمكانية المســـاعدة في بعض الأعمال المكتبية أو التدريبية.

فوجئ بزميله يقول بحماسة:

"الكل منتظرك يا محمود, محتاجين أوي خبرتك وروحك, الريس بنفســـه

متابع حالتك وبلغنا نستقبلك اول ما تكون جاهز ترجع الشغل"

حين أغلق الهاتف، شعر بشيء يتحرك بداخله,

ليس غرور السلطة القديمة، بل دفء الانتماء.

أدرك أن العودة لم تعد مجرد حنين إلى منصب,

بل تكليف جديد بروح أعمق.

ابتسم لنفسه وقال:

"سأعود... لكن هذه المرة لأضيء لا لأسيطر.

لأزرع لا لأحصد . هذه المرة, سأكون إنسانًا قبل أن أكون ضابطًا"

في صباح صافٍ،

ارتدى محمود بدلته الرسمية للمرة الأولى منذ الحادث.

نظر في المرآة مطولًا:

لم يرَ الضابط القوي الذي كان يركض وراء المجرمين, بل رأى رجلًا جُرّب بالنار والضعف، خرج من الألم أكثر نضجًا وصفاءً.

حين دخل مقر إدارة التفتيش بديوان وزارة الداخلية، وقف الضباط والموظفون باحترام.

جلس على مكتبه الجديد.

أنعشت رئتاه رائحة الورود في الباقة التي وجدها على مكتبه, وأنعشت روحه الكلمات التي كُتِبَت على الكارت الذي رافق الورود وتحت كلماته توقيع وزير الداخلية.

كان موقعًا مرموقًا يمنحه سلطة تفوق ما كان له من قبل.

لكن بدلاً من أن يثمل بالسلطة، قرر أن يستخدمها لشيء آخر,

" التغيير الحقيقي"

في المساء،

حين غادر مقر عمله الجديد،

رفع عينيه إلى السماء.

كانت الغيوم تتحرك ببطء، كأنها تفتح له ممرًا نحو ضوء الشمس.

ابتسم وقال في نفسه:

"سقطت كثيرًا, لكنني تعلمت أن السقوط ليس إلا بداية صعود آخر.

والآن,

أنا في صعود جديد، لا لذاتي، بل لوطن يحتاج إلى كل من يقوم به"

عاد إلى بيته،

وجد منى بانتظاره.

وضعت رأسها على كتفه وقالت:

"كيف كان يومك الأول؟"

أجابها بعينين تلمعان بالسكينة:

"كان بداية، لا نهاية"

ثم أضاف وهو ينظر إلى الأفق البعيد:

"الغد ليس مضموناً،

لكنه يستحق أن نعيشه كما لو كان معجزة"

روايات أخرى للمؤلف

"يقين، خطايا طبيب نفسية"

"قبلها بثلاث ثواني"

"كا-كا"



قد تفاجئك الأيام بشيء لا تتوقعه,

شيء تكرهه,

شيء يؤلمك , يزلزلك او حتى يكسرك .

لكن من يدري,

ربما تعرف بعد فترة انها كانت تنقذك .